قطار الذهب

محمود سالم

قطار الذهب

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

قطار الذهب

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٥٩١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
ملخص الجزء الأول	١١
عندما امتلأت الشبكة بالأسماك	١٣
مواجهة في الليل	١٩
مغامرة جديدة مفروضة	٢٥
كلمة السر ... «بوم»!	٣١
هل تثق في كلمة الليل؟	٣٧
عندما امتلأت الشبكة بالأسماك	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ملخص الجزء الأول

عندما خرج الشياطين من المقر السري، كانوا ينقسمون إلى مجموعتين؛ المجموعة «س-أ»، وهي تضم «أحمد» و«عثمان» و«هدى» و«فهد». أما المجموعة «ط-ب»، فكانت تضم «مصباح» و«رشيد» و«إلهام» و«باسم». كانت لكل مجموعة مهمة محددة، فالمجموعة الأولى مهمتها أن ... تلتقي مع المجموعة «س» من رجال عصابة «سادة العالم»، والمجموعة «س» هي مجموعة النسف، وسوف تنزل عند شاطئ «بحر المرجان» في منتصف ليلة ما، حيث تقترب غواصة تابعة للعصابة وتلتقي بالمجموعة عند الشاطئ، ثم تنسحب إلى أعماق المحيط، وتتحرك المجموعة «س» إلى نقطة عند نهر «كولجوا»، حيث يمر القطار الذي يحمل شحنة الذهب الهامة، فتضع المتفجرات حتى ينفجر خط السكة الحديد ... وحيث تكون هناك مجموعة أخرى، تابعة للعصابة، تقوم بعملية السطو.

هكذا خرجت المجموعة «س-أ» إلى هدفها في ولاية «كوينزلاند» الأسترالية، حيث سيكون عملها، غير أن الطريق لم يكن سهلًا؛ لقد قابلت المجموعة صعوبةً حتى وصلت إلى مدينة «ماكاي» القريبة من شاطئ «بحر المرجان»، وهناك كانت مغامرة رهيبة ... بدأت عندما سمع «أحمد» صوت ماكينات الغواصة وهي تدور مقتربةً من الشاطئ؛ لقد كان الصراع رهيبًا، لكن المجموعة «س-أ» من الشياطين أنهت الصراع لصالحها، وتحطمت آمال العصابة في أول خطوة.

غير أنه كانت هناك مراحل أخرى؛ إن المجموعة الثانية من العصابة كانت أمامها مجموعة السطو ... التي تتمركز عند نقطة مرور القطار فوق نهر «كولجوا» ...

عندما امتلأت الشبكة بالأسماك

كانت المجموعة «ط-ب» تنتظر في فندق «كارونا» في مدينة «بورك» القريبة من نهر «كولجوا»، حيث تتم عملية السطو.

وكان الشياطين «مصباح» و«رشيد» و«إلهام» و«باسم» يجلسون في شرفة الفندق الواسعة. كان الصباح هادئًا، لكنهم لم يكونوا كذلك، فقد كانت رسالة المجموعة «س-أ» هي التي سوف تحدد مهمتهم، إن الخطة «تمام» لا بد من تنفيذها ... فإذا كانت مجموعة النسف قد وقعت في يد المجموعة «س-أ»، فإن مهمتهم سوف تكون شيئًا آخر ... أما إذا حدث شيء مختلف، فإن الخطة «تمام» ستكون هي المهمة المطلوب تنفيذها ...

نظر «رشيد» في ساعة يده، ثم قال: لقد تأخرت الرسالة. لا بد أن شيئًا قد حدث!

لم ينطق أحد من الشياطين، ولم تمر لحظة حتى أشرق وجه «رشيد» وهو يقول: إن الرسالة في الطريق.

أسرع الشياطين إلى حجرة «رشيد»، والتفوا حول الجهاز السري؛ فقد كانت اللمبة الحمراء تعطي إشارةً، تعني أن هناك رسالةً ... بدأ الشياطين يتلقون الرسالة: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»: المجموعة «ط-ب» وقعت السمكة في الفخ؛ الخطة «تمام» ... الكابتن في الطريق.» ... نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم رفعوا أصابعهم بعلامة النصر في سعادة. ورد «رشيد» على الرسالة: «من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»: الحركة تبدأ عند وصول الكابتن.»

لم يكد «رشيد» من دق الرسالة، حتى دق الباب ... نظروا جميعًا إلى الباب، فقد توالت الدقات بإيقاع يعرفونه، فابتسموا، وأسرعت «إلهام» إلى الباب، وعندما فتحته، كان «أحمد» يقف مبتسمًا، ودخل بسرعة، وتعانق الشياطين ...

جلسوا في اجتماع سريع … شرح لهم «أحمد» كل ما حدث في مغامرة «بحر المرجان»، ثم قال: إن خطتنا هي … وقبل أن يكمل الجملة، نطق الشياطين جميعًا: تمام.

قال «أحمد»: إننا سوف ننزل في منطقة شبه صحراوية. إن نهر «كولجوا» يقطع الصحراء، وتحفه بعض الأشجار والنباتات، أما خط السكة الحديد — الذي يعبر ولاية «كوينزلاند» إلى ولاية «نيوسوشويلز» — فيكاد يكون وحيدًا؛ إنه كالتائه في الصحراء، ولذلك فإن هذه المنطقة تكاد تكون مكشوفة.

أخرج من جيبه خريطة صغيرة، ثم بسطها أمام الشياطين، وبدأ يتحدث: إننا نقع الآن في هذه المنطقة، أمامنا أكثر من مائة ميل لنقطعها، حتى نصل إلى نقطة مرور القطار فوق النهر. سوف نأخذ القطار من «بوك»، ثم ننزل هناك. لاحظوا أنه لا توجد محطة في تلك المنطقة، وعلينا أن نكون مستعدين لذلك.

قال «باسم»: إنهم قد يأخذون أي شكل، فيلبسون ملابس عمال المناجم مثلًا، وقد يزورون أوراقهم الشخصية أيضًا.

أحمد: إن هذا حقيقي … بجوار أنهم سوف يتحركون بسيارة، تلك التي سوف ينقلون بها الذهب، وهذه المعلومة سوف تساعدنا كثيرًا.

مصباح: إنهم سوف يهاجمون القطار، ما دامت خطة النسف قد فشلت.

أحمد: بالتأكيد، وأمامنا أمر من اثنين؛ إما أن نلحق بقطار الذهب، وإما أن نتواجد معهم في نفس المنطقة.

إلهام: إننا نعرف أنهم مجموعة مُكوَّنة من ثمانية، لكن القطار سوف تكون حراسته مشددة بالتأكيد، ونخشى أن يحدث خلط بيننا وبينهم في نظر الحراسة.

أحمد: هذه أيضًا مشكلة؛ ولذلك فإن تحركنا بشكل أسرع سوف يجعل مهمتنا أسهل؛ فإن مواجهتهم مباشرةً أهم ما نرمي إليه.

مصباح: إذن؛ يجب أن نتحرك فورًا.

رفع «رشيد» سماعة التليفون، ثم طلب الاتصال بمحطة السكة الحديد، وعندما سأل عرف أن هناك قطارًا سوف يتحرك في خلال ساعة.

انتهى الشياطين من حساباتهم في الفندق، ثم أسرعوا ليتوجهوا إلى المحطة، وكان عليهم أن يستقلوا تاكسيًا إليها، فوقفوا عند باب الفندق ينتظرون، لكن لم يظهر أي «تاكسي»، فنظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: إن الوقت يمر بسرعة؛ يجب أن نتصرف، ثم عاد بسرعة إلى الفندق، وسأل موظف الاستعلامات أن يطلب له تاكسيًا، غير أن الموظف

أجاب «أحمد»: إن اليوم إجازة التاكسي، ولا يوجد تاكسي في المدينة كلها يعمل اليوم»، فعاد «أحمد» بسرعة إلى الشياطين وأخبرهم.

قالت «إلهام»: لا حل سوى الأوتوستوب.

نزلت بسرعة إلى الشارع، ومرت دقائق، ثم ظهرت سيارة صغيرة، فأشارت لها، فتوقفت، وتحدثت إلى سائقها وشرحت له الموقف، فأبدى الرجل استعداده أن يصحب واحدًا فقط معه قائلًا: هذه سعة السيارة. نظرت «إلهام» إلى الشياطين، فأشار لها «أحمد» أن تركب معه، وما إن انطلقت السيارة بـ «إلهام» حتى ظهرت سيارة أخرى أشار لها «باسم»، إلا أن السيارة لم تقف؛ فقد كانت مليئةً بركابها.

مر الوقت بسرعة، ثم ظهرت سيارة شرطة، وقف «أحمد» أمامها فتوقفت، وتحدث إلى الضابط الذي يركب بجوار السائق، فأخبره أنه يستطيع نقلهم. أسرع الشياطين بالقفز داخل السيارة التي انطلقت إلى المحطة، ولم يكن هناك سوى ربع ساعة فقط ويتحرك القطار.

قال «أحمد»: هل المحطة لا تزال بعيدة؟

أجاب «الضابط»: أمامنا خمس دقائق فقط.

جلس الشياطين في حالة صمت، فقد كانوا يشعرون بالقلق. فجأةً ... سكت موتور السيارة، وحاول السائق أن يستمر، لكن بلا فائدة. نزل بسرعة، ثم كشف مقدمتها، وحاول قليلًا، ثم عاد وقد ظهر اليأس على وجهه، وقال: معذرةً؛ إن السيارة لن تسير، ولا بد من كهربائي.

نزل «مصباح» بسرعة، ثم انحنى فوق الموتور، وظل يحاول معه، ثم رفع قامته ونظر إلى السائق قائلًا: حاول الآن. أدار السائق المفتاح، فدارت السيارة. ابتسم السائق، وأسرع «مصباح» يقفز داخل السيارة، بينما كانت صفارات القطار تسمع بوضوح.

قال الضابط، مشيرًا إلى الأمام: هذه هي المحطة. ارتفعت صفارة حادة، فقال «باسم» على أثرها: إنه القطار؛ على وشك أن يتحرك.

عندما توقفت السيارة أمام باب المحطة، كان القطار قد تحرك وابتعد. وقف الشياطين ينظرون حولهم ... لم تكن «إلهام» موجودةً. أشار «رشيد»: إنها في القطار؛ ها هي تشير. رفع يده يحدد مكانها، فأبصرها الشياطين. فجأةً توقف القطار، وارتفع صوت ميكروفون داخل المحطة يقول: الأصدقاء الذين تأخروا عليهم أن يتقدموا بسرعة إلى القطار. تحرك الشياطين بسرعة، إلا أن «أحمد» كان قد ألقى نظرةً عند باب دخول مبنى المحطة، فرأى ضابط الشرطة يقف هناك وهو يرفع يده محييًا، فحياه هو الآخر، ثم انطلق يلحق ببقية

الشياطين. ما إن قفزوا جميعًا داخله، حتى بدأ يتحرك وهو يطلق صفارةً متقطعة. نظر «أحمد» من شباك القطار؛ كان الضابط لا يزال واقفًا، فأخرج يده وأشار له ... فرد الضابط إشارته، وظل يرقب الضابط حتى انصرف، ثم ... شيئًا فشيئًا ... اختفى مبنى المحطة.

قالت «إلهام»: لماذا تأخرتم؟

قال «أحمد»: لقد توقعت ذلك!

إلهام: توقعت التأخير!

أحمد: لا؛ توقعت تصرف ضابط الشرطة. المؤكد أنه طلب من ناظر المحطة أن يُوقِف القطار حتى نلحق به؛ إنه موقف لا يُنسى!

كان القطار قد انطلق بأقصى سرعة، ولم يكن يحمل ركابًا كثيرين. كان بعض الركاب يجلسون وحدهم، والبعض يتحدث في صوت غير مسموع، فقد كان صوت عجلات القطار يغطي على أي صوت آخر. ولم تكد تمر نصف ساعة، حتى ظهرت حدود الصحراء. كان الشياطين ينظرون من نافذة القطار، ولم يكن يصطدم بصرهم بشيء، سوى الرمال أو تلك الكثبان الرملية المتناثرة.

علق «باسم»: إنها مناظر طبيعية لا بأس بها.

مصباح: فإذا أضيفت إليها بعض الأشجار، فإن المنظر يكون أحسن.

مر مفتش القطار، وطلب التذاكر، وشرح له «أحمد» الموقف، فابتسم الرجل، وطلب ثمن التذاكر. سأله «أحمد»: ألا توجد محطات قريبة من «نهر كولجوا»؟

المفتش: توجد محطة قبل عبور النهر بكيلومتر واحد، ومحطة أخرى بعده بمسافة كيلومتر واحد أيضًا.

إلهام: هل يُبطئ القطار عند عبور النهر؟

نظر لها المفتش لحظةً، ثم قال مبتسمًا: هل ستقفزين من القطار؟

ضحكوا جميعًا ... ثم انصرف المفتش، فقالت «إلهام» بسرعة: سؤال ساذج ما كان يجب أن أسأله!

صمت الشياطين، وشرد كل منهم يفكر في شيء ما. كان «أحمد» يفكر في النزول في المحطة، ثم يمشي الشياطين مسافة الكيلومتر؛ فإن ذلك لن يجعلهم مُراقَبين من أحد، ولو أنهم قفزوا عندما يمر القطار من منطقة تهدئة السرعة، فربما كان أفراد العصابة في مكان يسمح لهم برؤيتهم، وشرح للشياطين فكرته، ثم طرحها للمناقشة.

قال «رشيد»: إنني أوافقك.

باسم: أخشى أن يدهمنا الليل ... ونضطر لاستخدام البطاريات؛ إن ذلك قد يكشفنا أكثر.

مصباح: أعتقد أننا لن نستطيع اتخاذ القرار إلا عندما نقترب من المحطة. إن الضوء الباقي من النهار سوف يحدد قرارنا.

إلهام: أنا أتفق مع «مصباح».

استغرق الشياطين في تفكيرهم، مع رتابة صوت عجلات القطار. كان ضوء النهار ينسحب شيئًا فشيئًا، وفجأةً شعر الشياطين أن القطار يبطئ من السرعة، ثم بدأ يطلق صفارات متتاليةً متقطعةً. نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم التقت أعينهم عند زجاج نافذة القطار. كان ضوء الشمس قد أصبح مصفرًّا ... مما يعني أن الشمس على وشك الغروب.

وقف «أحمد» ينظر من زجاج النافذة. كانت بعض النباتات الصحراوية تنبت بجوار القطار، الذي أخذ يبطئ السرعة. كانت الصحراء الشاسعة تبدو أمامه مُوحِشة هادئة، وكأن الإنسان لم يطأها مرة. أبطأ القطار سرعته أكثر، وظهر بعض الناس منفردين، ثم أخذ الناس يتزايدون.

قال «باسم»: يبدو أنهم عمال مناجم المنجنيز، فهي قريبة من هنا.

توقف القطار في المحطة، وبدأ الركاب يملئون المقاعد، وأشار «أحمد» إلى الشياطين، فاتجهوا إلى باب النزول. لم تمر لحظات حتى انطلقت صفارة القطار، ثم أخذت عجلاته تتحرك، ثم تزداد سرعته شيئًا فشيئًا، حتى انطلق، وكان الشياطين يقفون وحدهم على الرصيف الخالي.

قالت «إلهام»: لا بد أن هناك مساكن لهؤلاء العمال.

ولم تكد تُتِم جملتها، حتى اقترب منهم رجل متقدم في السن، عرفوا أنه ناظر المحطة، فقال: إن مساكنهم بعيدة قليلًا، وتنقلهم سيارات خاصة إلى المحطة؛ إنهم دائمًا في حاجة إلى هواء نقي؛ نظرًا لبقائهم ساعات طويلةً في المناجم.

سأله «أحمد»: ألا توجد فنادق هنا؟

الناظر: لا يوجد شيء هنا أبدًا!

انصرف الشياطين في هدوء. كانت الشمس تلمع عند الأفق، وكأنها قرص ضخم من النحاس.

قال «أحمد»: ينبغي أن نسرع قبل أن يفاجئنا الظلام.

أسرعوا في مِشيتهم ... وهم يحافظون على اتجاههم مع شريط القطار. ثم قالت «إلهام»: إننا نستطيع أن نقطع المسافة في أقل من نصف ساعة.

لكن، لم يعلق أحد بشيء.

اختفى نصف قرص الشمس، فبدا الوجود وكأنه لوحة رائعة. كان الصمت يخيم على كل شيء؛ اللهم إلا وقع أقدام الشياطين على الزلط المتناثر بجوار القضبان. وعندما اختفت الشمس تمامًا ... كان هذا يعني أن المغامرة قد بدأت.

مواجهة في الليل

من بعيد، كان صوت اندفاع مياه النهر يصل إليهم. قالت «إلهام»: لقد اقتربنا! لم يعلق أحد بشيء، وظلوا مستمرين في خطواتهم التي أخذت تهدأ الآن. كان ضوء النهار قد بدأ ينسحب تمامًا من الوجود، لتحل محله ظلمة رمادية. كان الوجود كأنه قصيدة شعر رقيقة. وأخذت أصوات مياه النهر تزداد أكثر فأكثر.

قال «أحمد»: ينبغي أن نأخذ حذرنا الآن؛ من الضروري أن يكونوا قريبين من النهر. ظهرت بعض النباتات الصحراوية الكثيفة مثل أعشاب «السافانا» العالية، وعلق «مصباح» قائلًا: إنها سوف تفيدنا كثيرًا!

اقتربوا تمامًا من «نهر كولجوا»، وكان النهر يهدر في اتجاه الجنوب، وحوله كانت ترتفع الأشجار التي لم تكن تزداد كثافتها كثيرًا.

قال «باسم»: لا يجب أن نقترب من النهر، فمن المؤكد أنهم إما عند شاطئه، وإما قريبون منه؛ يرصدون أي حركة.

هب النسيم، وبدأت تسمع أصوات الأشجار. كان الليل قد هبط تمامًا ... ولم يكن أحد يرى أي شيء، فقالت «إلهام»: سوف نعتمد على آذاننا فقط.

بجوار شجرة مرتفعة، جلس الشياطين، وقال «أحمد»: إننا لم نقترب بعد من النقطة الهامة ... نقطة مرور القطار فوق «نهر كولجوا»، فما زال صوت المياه في آذاننا، وصوت اندفاعها فقط، لكن الصوت سوف يتغير عندما ترتطم بأي شيء أمامها.

فهم الشياطين ما يعنيه «أحمد»؛ إن أعمدة الكوبري هي التي يمكن أن تصطدم بها المياه، ولهذا تحرك الشياطين. كانوا يتحركون بحذر، لكن بعد دقائق، رقد «رشيد» على الأرض، ثم لصق أذنه بها وأخذ يستمع، ثم قال: أعتقد أننا ما زلنا بعيدين.

استمروا في سيرهم. كانوا يلبسون أحذيةً من المطاط، لا تصدر أي صوت، وفجأةً قال «مصباح»: انتظروا!

توقف الشياطين ورقد «مصباح» على الأرض، ثم أخذ يستمع، وهمس قائلًا: هناك أصوات أقدام! فجلس الشياطين على الأرض، ثم أخذوا يستمعون.

قال «أحمد»: إنها تقترب! ثم ظلوا يستمعون، وكانت الأقدام تقترب أكثر.

قال «مصباح»: يجب أن نأخذ جانبًا ثم نلتزم الهدوء.

تحركوا بهدوء إلى الجانب الأيمن من الطريق، ثم جلسوا يتنصتون. كانت الأقدام تقترب أكثر وأكثر، وكان يبدو أن القادمين يلبسون أحذيةً ثقيلة.

قال «رشيد»: لا أظن أنهم ينتمون إليهم.

بدأت أصوات القادمين أنفسهم تتضح، وسمع الشياطين أحدهم يقول: إنها حراسة غريبة؛ فلم يسبق أن قمنا بهذه الحراسة من قبل!

قال آخر: أظن أنها حدثت قبل الآن، لكننا لم نكن فيها.

الأول: هل تعتقد أن أحدًا سيمر من هنا؟

الثاني: لا أظن؛ قد تكون حملةً سرية!

الأول: ماذا تعني؟

الثاني: ربما يكون قد تم العثور على ذهب، أو أي معدن نفيس آخر، فالمناجم هنا غنية!

مر الحارسان بجوار الشياطين، ولم يكن يظهر منهما شيء ... فقط يسمع صوتيهما وهما يتحدثان، ثم أخذ الصوت يبتعد.

قال «أحمد»: إنهما حارسان؛ يبدو أن الحراسة شديدة الليلة، خصوصًا بجوار النهر!

تحرك الشياطين من مكانهم، لكنهم فجأةً توقفوا.

قال «رشيد»: لقد سمعت صوتًا غريبًا.

أحمد: أعتقد أننا قريبون من مكان العصابة!

مصباح: يجب أن نكتشف ماذا حدث!

أحمد: سوف نتجه أنا و«مصباح» في اتجاه الحارسين؛ لنرى ماذا حدث، وعليكم أن تبقوا هنا.

أسرع «أحمد» و«مصباح» في نفس الاتجاه الذي سار إليه الحارسان. كان الصمت مطبقًا، فأخذا يتسمعان، وفجأةً جذب «مصباح» يد «أحمد»، فتوقف «أحمد»، وهمس

«مصباح»: هناك صوت شيء وقع. تسمع «أحمد» قليلًا، ثم رقد على الأرض يستمع ... ثم همس: هناك صوت أنين؛ لا بد أنهم بجوارنا تمامًا؛ هيا نزحف في اتجاه الأنين.

زحف الاثنان في اتجاه الأنين، لكن في هدوء ... ثم أخذ صوت الأنين يبدو واضحًا أكثر. وفجأةً صدرت آهة قريبة من «أحمد»، فمد يده يتحسس الأرض، فاصطدمت بجسم إنسان. همس «أحمد»: من أنت؟ وفي صعوبة نطق الرجل: أنا ... «فردريك»، حارس الليل ...

سأل «أحمد»: بسرعة قل لي ماذا حدث؟ وانتظر «أحمد» الإجابة، إلا أن الرجل لم يجب، فهزه برفق؛ فقد تجمد في مكانه، وعرف أن الحارس قد فقد الحياة، فهمس: «مصباح»، أين أنت؟ أجاب «مصباح»: إنني في مغامرة جديدة مفروضة! بجوارك! هناك قتيل؛ يبدو أنه الشرطي!

عرف «أحمد» أن العصابة قد بدأت لعبتها، ولم يكن هناك ما يمكن عمله الآن؛ فقد كان الظلام كثيفًا، ولا شيء يمكن رؤيته، ولا أحد يدري في أي مكان يختبئ رجال العصابة الآن ... وهمس «مصباح»: هل أستخدم البطارية؟

أجاب أحمد: أخشى أن نظهر؛ نحن لا نريد مواجهتهم الآن! فنحن لا ندري ... كم عددهم، ولا أين يختبئون!

مصباح: أعتقد أننا يجب أن نواجههم منذ هذه اللحظة؛ حتى لا يخدعنا مرور الوقت.

صمت «أحمد» ولم يرد، غير أنه فجأةً شعر كأن جبلًا يسقط فوقه، وكان أحد أفراد العصابة. في نفس الوقت صرخ «مصباح»: احترس! لكن الرجل كان قد ضرب «أحمد»، إلا أن «أحمد» قفز قفزة الثعبان فأصبح بعيدًا عنه، ثم أخرج خنجره الماضي، فظهر الرجل أمامه، وكان يتحفز للوثوب. طار في الهواء، ثم ضربه بقدمه ضربةً طرحته أرضًا. صاح «مصباح»: إنني مشتبك! رد «أحمد»: وأنا أيضًا!

وقف رجل العصابة، وفي سرعة البرق كان قد أخرج مسدسه، إلا أن «أحمد» كان أسرعَ منه، فقد طار الخنجر في الهواء، ليستقر في فخذ الرجل ... الذي صرخ. وفي نفس الوقت كان «أحمد» قد طار في الهواء، ثم ضرب المسدس من يده إلى أعلى ... وقبل أن يُفيق الرجل من الحركة الأخيرة، كان «أحمد» قد تلقى المسدس في يده، ووقف الرجل لا يبدي حراكًا، فقد كان لا يزال يقبض على يد الخنجر المغروس في فخذه، والذي كان يعكس ضوءًا يكشفه تمامًا. حاول الرجل أن ينزع الخنجر، إلا انه لم يستطع. في نفس الوقت، اقترب «مصباح» وهو يقول: لقد انتهى الآخر! تقدم «مصباح» من الرجل، الذي نظر إليه

في هدوء، فأبعد «مصباح» يد الرجل، ثم أمسك بمقبض الخنجر، وأداره نصف دورة، فصرخ الرجل من الألم، إلا أن «مصباح» كان قد نزع الخنجر، وفي نفس اللحظة ضربه الرجل ضربةً قوية في بطنه، جعلت «مصباح» ينحني ... خطف الرجل الخنجر، ثم أمسك بـ «مصباح» بين ذراعيه مخاطبًا «أحمد»: إنك يمكن أن تتسبب في قتل زميلك!

دفع «مصباح» أمامه، ثم بدأ يبتعد عن «أحمد» الذي لم يستطع ضرب الرجل من أجل «مصباح». وفجأةً كان الرجل يطير في الهواء؛ ففي حركة سريعة، أمسك «مصباح» بيد الرجل، التي كانت بجوار يده تمامًا، ثم في حركة دائرية، رقد على الأرض، فطار الرجل في الهواء، وعندما استقر على الأرض ... كان «أحمد» يقف أمامه. لم يستطع الرجل أي حركة، ونظر إلى «أحمد» في هدوء، ثم ابتسم ابتسامةً خبيثةً، وقال: ينبغي أن نتفاهم.

فكر «أحمد» بسرعة، ثم قال: دعنا نفعل ذلك.

تحرك الرجل ليقوم وهو يقول: إني أُدعَى «جاك»، وأنت؟

نظر إليه «أحمد» في هدوء، وقال: اسمي «نظيم».

كان الرجل قد وقف، وعينه في اتجاه «مصباح» الذي كان يرقب الحوار بين الاثنين، ثم قال: من أي جناح أنت؟

ابتسم «أحمد» ابتسامةً عريضةً، وقال: جناح النسور!

ظهرت الدهشة على وجه «جاك»، وقال: إذن؛ أنت قريب جدًّا من الرجل الكبير!

أحمد: نعم؛ لقد جئت أراقب الموقف!

زادت دهشة «جاك»، فقال: لكن جناحكم مسئول عن عمليات أفريقيا!

أحمد: إنني أفهم في عمليات النقل جيدًا؛ ولهذا جئت!

جلس «جاك» على الأرض وهو يقول: إنني في حاجة إلى الراحة. وعندما جلس قال: ليسترح الزميل؛ أليس معك؟

نظر «أحمد» إلى «مصباح»، وقال: «زين»، تقدم.

مد «جاك» يده محييًا، فمد «مصباح» يده وحياه.

قال «جاك»: تدعى «زين»؟ إنه اسم سوادني على ما أظن!

مصباح: نعم.

قال «أحمد»: أين بقية الزملاء؟

نظر إليه «جاك» قليلًا، ثم قال: إنهم يختبئون في مكان ما!

مصباح: ومستر «داس»؟

بدت الدهشة على وجه «جاك»، وقال: إذن؛ فأنتما تعرفان كل شيء!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: نعم! نعم! لكنكما أخطأتما عندما قتلتما الحارسين. تذكر «أحمد» الرجل الآخر، فقال: إنني آسف أن فقدنا زميلًا؛ كان يجب أن نتفاهم أسرع وأكثر.

قال الرجل: آه؛ تقصد «ترافل»؟ وهز رأسه، ثم قال: إنه يستحق ذلك! ما دام لم يستطع التغلب على «زين»!

صمت لحظةً، ثم أكمل: لا بأس؛ إن العدد الموجود يكفي.

ابتسم أحمد، وقال: نعم، تسعة رجال.

ظل «جاك» ينظر إلى «أحمد» لفترة، ثم قال: هل تعرف عددنا أيضًا؟

أحمد: ونوع السلاح والسيارة!

وظهرت الدهشة على وجه «جاك»، غير أنه قال بعد لحظة: إذن؛ يجب أن أدعو بقية الزملاء!

وأرسل صفيرًا معينًا ... ثم انتظر ... فجاءه صفير آخر من عمق الليل. ولاح في ذهن «أحمد» سؤال: ماذا يمكن أن يفعله الآن هو و«مصباح»؟

مغامرة جديدة مفروضة

نظر «مصباح» إلى «أحمد»، وتفاهما بلغة الأعين. كان السؤال الذي يتردد بينهم: ماذا نفعل أمام سبعة رجال؟ فكر «أحمد» قليلًا، ثم قال: لـ «مصباح»، بلغة الشياطين: يجب إرسال رسالة إلى بقية الشياطين. فوضع «مصباح» يده على صدره، حيث يختبئ جهاز الإرسال، ثم بدأ يرسل رسالةً إلى الشياطين، وكانت الرسالة: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»: اقتربوا منا، وارصدوا حركاتنا؛ إننا سوف نشتبك مع العصابة. إننا في النقطة «ك».»

جاء الرد، بسرعة: «نحن نرصد حركاتكما، ونحن في الطريق.»

نقل «مصباح» مضمون الرسالة إلى «أحمد»، بينما كان «جاك» ما زال جالسًا على الأرض. أرسل صفيرًا ... فجاءه صفير آخر، وكان يبدو قريبًا أكثر. قال «جاك»: إنهم يقتربون!

صمت قليلًا، ثم أرسل صفيرًا متقطعًا، ونظر إلى «أحمد» مبتسمًا: هل أنتما هنا وحدكم؟

أحمد: نعم؛ لكننا على اتصال بالمركز الرئيسي!

تحدث «مصباح» إلى «أحمد» بلغة الشياطين، وقال: إن الموقف ليس في صالحنا؛ إن الصفير الأخير رسالة إلى العصابة! وإن المتقدمين ليسوا سبعةً؛ إنهم أربعة فقط.

نظر «أحمد» إلى «جاك»، وقال: لماذا لم يحضر كل الرجال؟

ظهرت الدهشة في صوت «جاك» وهو يقول: الرجال؟! إنهم قادمون جميعًا!

أحمد: إن القادمين أربعة فقط!

جاك: لا، لا؛ إنهم خمسة!

أحمد: يبدو أن «داش» قد تخلف!

لم يرد «جاك»، وظل صامتًا حتى جاء صوت من الظلام يقول: هل الزملاء الجدد معك؟

اقترب رجال العصابة، وهكذا شعر الشياطين أن الصراع سيكون داميًا، ثم قال صوت من الظلام: ألقوا مسدساتكم.

استمع «أحمد» للجملة، ثم أيقن أنهما قد وقعا في فخ ... انطلقت مجموعة من الطلقات حول «مصباح» و«أحمد»، وتحدث الاثنان بلغة الشياطين، فأرسل «أحمد» رسالةً سريعةً إلى «ش. ك. س»: «اقتربوا أكثر.»

انتظر الرد، ولم يكن الرد سوى طلقة ضوئية ارتفعت في الفضاء، فأضاءت المكان ... انبطح رجال العصابة بسرعة على الأرض، في نفس اللحظة التي أطلقوا فيها مجموعةً من الطلقات في اتجاه «أحمد» و«مصباح». كان الاثنان قد ألقيا نفسيهما على الأرض، وتدحرجا بعيدًا عن مرمى الطلقات ... غير أن سحابةً من الدخان كانت تأخذ طريقها إلى المكان. عرف «أحمد» و«مصباح» أنه دخان للتمويه. انطلقت طلقات الرصاص في اتجاه السحابة، إلا أن سحابةً أخرى وصلت من اتجاه مختلف، وعرف «أحمد» أن الشياطين قد وزعوا أنفسهم في دائرة تحاصر المكان ... كانت الطلقة الضوئية قد انتهت، واشتد سواد الليل، ولم يكن هناك صوت؛ كان الجميع صامتين، بلا أي حركة، ولا أي كلمة ...

زحف «أحمد» إلى مكان مختلف، ثم أرسل رسالةً إلى «مصباح»: «غيِّر مكانك؛ اتجه إلى النقطة «هـ».» فأخذ «مصباح» يزحف، وأخرج «أحمد» مسدسه، ثم أطلق طلقةً ضوئيةً غطت المكان بضوء ساطع، لكن «أحمد» لم يرَ أحدًا ... سوى «مصباح» الذي كان يبدو في الطرف المقابل له ... أرسل رسالةً سريعةً إلى الشياطين: «أين أنتم؟» جاءه الرد: «نحن حولكم في نصف دائرة.» فأرسل رسالةً أخرى: «هل رأيتم أحدًا؟» وجاءه الرد: «لا أحد.»

كانت هناك مجموعة الأشجار التي نبتَتْ حول مجرى النهر، وكان هذا الاتجاه هو النصف الباقي من الدائرة ... فأرسل رسالةً للشياطين: «نجتمع عن النقطة «ض».»

اتجه الشياطين زحفًا إلى ضفة النهر، وجاءت رسالة إلى «أحمد»: «إنهم يعبرون النهر.»

أسرع الشياطين جريًا إلى النهر. كانت أصوات عبورهم المياه تصل إلى الشياطين، وعندما وقفوا على الضفة، كانت طلقات الرصاص كالمطر، فانبطحوا على الأرض، وظل الرصاص ينهمر، ولم يتحرك واحد منهم. فجأةً توقف الرصاص، وقال «أحمد»: من الضروري أن يعبر جزء منا خلفهم.

مصباح: إن «داش» يوجد في منطقتنا الآن ... وإن كنا لا نعرف مكانه!

رشيد: المهم، إنهم يستطيعون من الضفة الأخرى أن يفعلوا شيئًا.

باسم: الأهم في هذا كله ... أن المواجهة أصبحت معروفةً. وبالتأكيد إنهم سوف يدبرون شيئًا؛ هذه مسألة لا بد أن نفهمها جيدًا.

صمت الشياطين. كان الليل هادئًا الآن، إلا من أصوات مياه النهر وهي تتدفق ... وصوت ارتطامها بأعمدة الكوبري. قال «أحمد» بعد قليل: ينبغي أن نتجه إلى الكوبري، فمن المؤكد أنهم سوف يلعبون لعبتهم هناك؛ إن القطار سوف يبطئ سرعته عند النهر، وهذه هي فرصتهم ... وسكت قليلًا، ثم أكمل: وهي فرصتنا أيضًا.

بدأ الشياطين يتجهون إلى الكوبري. فجأةً لمع كشَّاف قوي، يضيء المكان، فيحيله إلى نهار ... اختبأ الشياطين بين أعشاب السافانا العالية ... لكن لم تمضِ دقيقة حتى رنت طلقة في الفضاء، ثم ساد الوجودَ ظلامٌ مخيف. همس «رشيد»: يبدو أن الكشاف قد أصيب بالطلق الناري.

إلهام: هذا يعني أن الكشاف يتبع الحراسة، والطلقة تتبع العصابة.

أحمد: هذا استنتاج صحيح! وصمت قليلًا، ثم قال: إن هذا قد يزيد مهمتنا تعقيدًا.

ظل الشياطين في مكانهم، لا يتحركون، غير أن «أحمد» قال: سوف أتقدم ومعي «باسم» في اتجاه الكشاف؛ عليكم أن تتبعوا تحركاتنا.

تقدم «أحمد» و«باسم» في اتجاه الكشاف ... كان صوت مياه النهر يعلو أكثر، وكان هذا يعني أنهم يقتربون من الكوبري. ظلا يتقدمان، حتى لمحا ضوءًا ضئيلًا يلمع في الظلام ... عرفا أنه بطارية الحارس ... فالعصابة لا يمكن أن تكشف نفسها ... تقدما أكثر، حتى أصبحا قريبين تمامًا من مكان الحارس، وعندئذ شد «باسم» ذراع «أحمد» فتوقف عن السير.

ظلا يتسمعان ... كانت هناك أصوات لأقدام تقترب، فكتما أنفاسهما؛ حتى لا يصدر أي صوت؛ فربما كان أحد أفراد العصابة أقرب مما يفكرون؛ فالليل يخفي كل شيء ...

سمع «أحمد» زحفًا على الأرض، فضغط على يد «باسم»، ثم سكن الصوت، وسمع «أحمد» صوتًا يقول: «دافيد»، هل رأيت «جاك»؟ عرف الشياطين أنه أحد أفراد العصابة، فاستغل «باسم» قدرته على تقليد الأصوات، وأصدر صوت عصفور برِّي، فرد الصوت ضاحكًا في هدوء: ظننتك «دافيد»! ... ثم بنبرة ساخرة: هل تشترك معنا أيها العصفور الليلي في المهمة؟

كان صوت زحف الرجل يقترب أكثر. أخرج «أحمد» قنبلةً زمنيةً، ثم نزع مسمار الأمان منها، ووضعها في طريق الرجل، ثم جذب «باسم» من ذراعه، وأسرعا بالابتعاد ... لم تمضِ سوى دقيقة حتى دوَّى انفجار قوي، تتبعه صرخة ألم، فقال «باسم»: لقد انتهى. ثم تقدم الاثنان في اتجاه الانفجار ... كان هناك صوت يئن. قال «أحمد»: يبدو أنه أصيب فقط.

ظلا يتقدمان في اتجاه الأنين ... حتى وصلا إلى الرجل. كان يردد: «دافيد»، «دافيد»، أين أنت؟ إنني أموت. أين «جاك»، و«داش»؟ هل هو هناك في الحفرة؟ «دافيد» ... «دافيد»!

أسرع «أحمد» إليه؛ كانت الدماء تنفجر من ساقيه، وبسرعة أخرج عدة ضمادات، وبدأ يضمد جروحه، وتألم الرجل أكثر.

سأله «أحمد»: من أنت؟ ومن بين الألم، قال الرجل: إنني ... إنني «داوسون». هل رأيت يا «جاك»؟ من الذي فعل ذلك؟ ... ازداد الألم، وارتفع صوت «داوسون». قال «باسم»: ما رأيك في إبرة مخدرة؟

قال «أحمد»: فكرة! ... أخرج «باسم» مسدسه، ثم أطلق على ذراع «داوسون» إبرةً مخدرةً؛ لم تكد تنغرس في ذراعه، حتى هدأ تمامًا، واستغرق في النوم. قال «باسم»: علينا أن نخفيه في أي مكان؛ حتى لا يكشفنا.

جره الاثنان، حتى وجدا مجموعةً عاليةً من أعشاب السافانا، فأخفياه في داخلها، ثم جلسا بجواره قليلًا، ونظر «أحمد» في ساعته المضيئة، ثم قال: لايزال الوقت أمامنا طويلًا. إن القطار لن يمر قبل الرابعة صباحًا، والساعة تكاد تقترب من منتصف الليل فقط.

قال «باسم» بعد لحظة: ربما يغيرون من موعد مرور القطار؛ تأكيدًا لإجراءات الأمن.

قال «أحمد»: هذا صحيح؛ من الممكن أن يحدث هذا.

ظلا صامتين؛ كان كل منهما يفكر، لكن الغريب أنهما كانا يفكران في مسألة واحدة، حتى إن «باسم» عندما بدأ الكلام، كان «أحمد» يبدأ في نفس الكلام ...

قال «باسم»: لا بد أنهم لم يعبروا النهر جميعًا. لقد تخلف أكثر من واحد؛ بينهم «جاك» و«دافيد»!

أكمل «أحمد»: ومن الضروري أن يكونا قريبين منا الآن!

فكر لحظةً، ثم قرر التقدم في اتجاه كشك الحراسة، حيث رأى ذلك الضوء الضئيل. كانا يمران بين الأعشاب، وكان ذلك يحدث صوتًا. أصدر «باسم» صوت العصفور الليلي؛ إن ذلك يمكن أن يغطي تقدمهما. اقتربا من الكشك، وظلا يتأملانه من بعيد، قبل أن يقررا الدخول.

قال «باسم»: إنها مغامرة غير مأمونة، لو أننا دخلنا!

أحمد: نعم؛ إنني أيضًا أفكر في ذلك!

وبعد قليل دخلا الكشك …

لم يكن هناك أحد. كانت البطارية ملقاةً على الأرض، ولا تزال ترسل ضوءها الضعيف، فقال «أحمد»: إنها يمكن أن تكون مصيدةً جيدةً.

ظلا في مكانهما … ينظران حولهما، لكنهما فجأةً تجمدا في مكانهما.

كلمة السر ... «بوم»!

كانت هناك مجموعة من الذئاب تتحرك أمام الكشك، ثم تلتفُّ حوله، وكأنها تنتظر شيئًا. دخل أحد الذئاب إلى الكشك، ثم ارتفع صوته الكئيب ... فاندفعت الذئاب إليه. كان واضحًا أن هناك فريسةً وقع عليها الذئب الأول ... فكر «أحمد» لحظةً، ثم همس: يبدو أن الحارس سوف يكون عشاء الذئاب. فأخرج «باسم» مسدسه، غير أن «أحمد» أمسك يده، وهو يقول: لا تطلق شيئًا! إن ذلك سوف يكشف مكاننا ... ومن المؤكد أن هناك بعضهم ينتظرون مثل هذه الفرصة. وفي الحال وضع «باسم» مسدسه في مكانه.

ظلا في مكانهما يرقبان قطيع الذئاب. لقد بدأت الوليمة! نظر «أحمد» في ساعته، ثم قال: إن الوقت يجري!

تناهى إلى سمعهما أصوات تتقدم؛ كانت المعاني غير مفهومة بالنسبة لهما. اقتربت الأصوات أكثر، وسمعا اسم «داش» ... همس «باسم»: قائد المجموعة! إن الموقف يتأزم.

أحمد: إنه في النهاية لصالحنا.

باسم: كيف؟

اقتربت الأصوات أكثر، وبدأت أصوات الأقدام تصل إليهم أيضًا. قال «باسم»: يجب أن نستدعي الشياطين.

أحمد: نعم.

بدأ «باسم» في إرسال رسالة إلى الشياطين، في الوقت الذي ركز «أحمد» أذنيه جيدًا ... حتى يسمع كل ما يُقال عن مجموعة «داش»، فسمع «أحمد» هذا الحوار: لماذا لم يعودوا؟

– لا بد أن شيئًا قد حدث!

– ما الذي يمكن أن يحدث؟

همس «باسم» في أذن «أحمد»: إن الشياطين في الطريق.

كان قمر وليد قد ظهر في الأفق ... فبدأت الظلمة تخف، وبدأت بعض الأشياء تظهر ... سمع «أحمد» جملةً تقال: ما أبدعه!

ارتفعت ضحكة خشنة، جاءت بعدها جملة، بنفس الصوت الخشن: نعم؛ إنه الشاهد الوحيد.

ابتسم «أحمد»، وقال لـ «باسم»: إنهم لا يعرفون أن هناك أكثر من شاهد.

قال صوت: نقطة الانتظار عند الكوبري، لم ترسل أحدًا حتى الآن!

رد الصوت الخشن: لا ضرورة لإرسال شيء! إنهم سوف يتسلقون القطار عندما يهدئ من سرعته عند الكوبري. وسوف تبدأ عمليتهم بسائق القطار ... ثم نقوم نحن بالباقي.

فهم الشياطين خطة العصابة؛ عليهم إذن أن يتصرفوا على أساس هذه الخطة ...

كانت هناك أقدام تقترب، وكان وقعها هادئًا. عرف «أحمد» أن هذه أقدام الشياطين ... ارتفع صوت يقول: إنني أسمع حركةً ما! وما إن انتهى من جملته، حتى ارتفع عواء الذئاب، ثم ظهر أحدها عند باب الكشك، ثم رفع وجهه في اتجاه القمر الوليد، وعوى عواءً مخيفًا ... قال صوت أحد رجال العصابة: هذه عادة الذئاب عند رؤية القمر.

بدأت الذئاب تظهر، ولم يستطع أحد من الشياطين أن يحصي عددها ... همس «باسم»: إنها يمكن أن تفسد الخطة كلها.

ردت «إلهام»، وكانت قد اقتربت تمامًا: نعم ... لقد فكرت في ذلك.

لم ينطقْ أحد من الشياطين؛ فقد أشار إليهم «أحمد» بالصمت ... اتجهت أنظارهم إلى الذئاب، التي كانت لا تزال تقف أمام الكشك، وسمع صوتًا يقول: يجب أن نتخلص منها؛ لو أنها بقيت في مكانها، فقد لا نستطيع أن نتحرك!

نظرت الذئاب في اتجاه الصوت ... كانت كمن سمع ما يقال، وبدأت تتحرك من أماكنها ... غير أن أحدها تشمم الهواء لحظةً، ثم عوى بقوة، حتى إن عواءه تردد في الصمت ... ثم تبعته الذئاب الأخرى ... بدأت الذئاب تتحرك في اتجاه قريب من الشياطين ... حتى إنهم جميعًا أخرجوا مسدساتهم، غير أن الصوت الخشن الذي تحدث، جعلهم يعرفون أن اتجاه الذئاب ليس اتجاههم. قال صاحب الصوت الخشن: إنها تقترب منا!

علا عواء الذئاب ... ثم اندفعت في قوة في نفس الاتجاه الذي حددته. لم تمر لحظة حتى ترددت الطلقات في الصمت ... كان واضحًا أن العصابة قد اشتبكت مع الذئاب ... ازداد العواء، ثم بدأت تولي هاربة ... وسمع صوت أحد أفراد العصابة يقول: لقد اصطدنا عددًا منها وولى الباقي هاربًا!

كان القمر قد ارتفع أكثر ... وبدأت الأشياء تظهر أكثر وضوحًا، وسمع الشياطين حركةً تقترب. فعرفوا أن المجموعة تقترب منهم. زحفوا في هدوء مغيرين اتجاههم ... ثم رقدوا هادئين. لحظة، رفع بعدها «أحمد» رأسه؛ لينظر. كان أفراد مجموعة السطو يتقدمون في اتجاه النهر ... جلس الشياطين نصف جلسة، ثم أخذوا يراقبونهم وهم يتقدمون ... كانت مياه النهر تلمع تحت ضوء القمر. همست «إلهام»: إنهم يستعدون الآن!

فجأةً لمح «رشيد» جسمًا يتحرك في النهر، ولفت نظر الشياطين إليه. قال «مصباح»: لا بد أنه أحد الذين طاردناهم، يعود إلى المجموعة!

ظل الجسم يقترب، في نفس الوقت الذي كانت فيه المجموعة تتحرك في اتجاهه، فقال «مصباح»: إننا على وشك الاشتباك.

فهم الشياطين ماذا يعني «مصباح»؛ إن المجموعة التي كانت تتحرك لا تعرف ماذا حدث، وسوف يجبرهم بالاشتباك، وساعتها سوف يتغير الموقف. فكر «أحمد» بسرعة ... كان الجسم المتحرك قد وصل إلى الشاطئ، ثم وقف، فظهر تمامًا. أخرج «أحمد» مسدسه، ثم أطلق طلقةً مخدرة. لحظةً، ثم سقط الرجل في الماء. وقبل أن يصل إليه أحد من أفراد المجموعة ... كان التيار قد جذبه إلى منتصف النهر. كان التيار سريعًا ... فاضطرت المجموعة أن تجري على الشاطئ، حتى تكون قريبةً منه، وحتى يمكن أن ينقذه واحد منهم، فظلوا يتابعونه.

ابتعدت المجموعة، وقال «رشيد»: هذه فرصتنا؛ إننا نستطيع أن ننهي الموقف لصالحنا، لو فعلناها مرةً أخرى.

كان أفراد مجموعة السطو قد ابتعدوا، وهم يحدثون أصواتًا مسموعة ... قدر «أحمد» المسافة، ثم قال: إن مدى الإصابة الآن غير مؤثر ... ينبغي أن نقترب منهم. وصمت لحظةً، ثم قال: سوف أتقدم أنا و«رشيد»؛ عليكم بالبقاء هنا، ومتابعتنا.

تقدم الاثنان بسرعة. كان أحد أفراد المجموعة قد ألقى بنفسه في النهر، متابعًا الآخر الذي يجرفه التيار، واستطاع في النهاية أن يمسك به، ثم يجره في اتجاه الشاطئ.

اقترب «أحمد» و«رشيد» من أفراد المجموعة الذين كانوا يتحدثون في انتظار وصول الاثنين، وسمع «رشيد» و«أحمد» حوار المجموعة: لا بد أنه أُصيبَ بالتعب! إن الوقت يمر، ويجب أن نعود إلى الكوبري! فابتسم «أحمد»، وقال: إنها فرصتنا حقًا!

اقترب أفراد العصابة من الشاطئ، فقال أحد الذين على الشاطئ: تقدم يا «هوب»، تقدم! وعندما وصل «هوب» إلى الشاطئ، وهو يحمل زميله، أطلق «أحمد» طلقةً مخدرة

... وقف «هوب» قليلًا، ثم سقط في الماء ... صاح أحد الذين على الشاطئ: ما هذا؟ لا بد أن هناك شيئًا غير طبيعي! ... ابتسم «رشيد» وهمس: هذه حقيقة!

أسرع أفراد المجموعة إلى الاثنين اللذَيْن سقطا في الماء، وعندما حملوهما، صاح واحد منهم: لقد انتهى «بلاك»! اقتربوا من الشاطئ، ثم أرقدوهما على الأرض، وقال واحد منهم: نعم؛ لقد انتهى «بلاك»!

كان واضحًا أنهم يقومون بعملية تدليك لقلب «هوب»، وقال صاحب الصوت الخشن: إنه حي، فقط يبدو أنه مُجهَد.

قال «أحمد»: هذه فرصتنا ... ثم أرسل رسالةً سريعةً إلى الشياطين: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»: الطعام جاهز ... اقتربوا من الوليمة.» وجاءه الرد بسرعة: «شكرًا للدعوة.»

لم تمضِ دقائق حتى كان الشياطين قد اجتمعوا ... وعلى الشاطئ كانت مجموعة أفراد العصابة، منهمكين في مشكلة «هوب» الذي كان مخدرًا تمامًا ... قالت «إلهام»: هيا بسرعة.

مصباح: يجب أن نطوقهم؛ حتى نوهمهم بكثرة عددنا، وحتى لا نعطي فرصةً لأحدهم بالهرب.

إلهام: كم تقدر عددهم؟

نظر «مصباح» في اتجاههم: يبدو من أشباحهم أنهم ستة.

ظهرت الدهشة على وجه «إلهام»، وتساءلت: لكننا نعرف أن مجموعة السطو عددهم ثمانية، يقودهم «داش»!

قال «أحمد»: يبدو أنهم استعدوا أكثر ... خوفًا من حدوث شيء ... خصوصًا وأن مجموعة النسف التي تغلَّبنا عليها في مغامرة «قطار الذهب» ... لم تصل إليهم بعدُ.

توزع الشياطين ... وبدءوا يزحفون في اتجاه أفراد مجموعة السطو على الشاطئ. كان «أحمد» و«مصباح» يكوِّنان مجموعةً تزحف في اتجاه الشرق، و«رشيد» و«باسم» و«إلهام» يكوِّنان مجموعةً أخرى تزحف في اتجاه الغرب ... في نفس الوقت كان أفراد المجموعة يمثلون نقطةً ثابتةً على الشاطئ.

اقترب «أحمد» و«مصباح» تمامًا ... سمع «أحمد» صاحب الصوت الخشن يقول: لا بد أنه يحتاج إلى نوم طويل عميق.

رد آخر: إن هذا سوف يعطِّلنا يا «داش»! فعرف الشياطين أن «داش» هو صاحب الصوت الخشن.

اقترب الشياطين أكثر، وحدد «أحمد» عدد أفراد المجموعة، ثم نظر إلى «مصباح»: إنهم خمسة، خلاف «هوب» المغمى عليه ... إننا نستطيع أن نفعل شيئًا.

أرسل رسالةً إلى مجموعة الشياطين في ناحية الغرب؛ ليحدد لهم العدد والإشارة لبدء التحرك. جاءه الرد: «نحن في انتظار أن نسمعها.» ثم تقدم الشياطين أكثر ... حتى أصبح من الممكن تحقيق الاشتباك الآن ... إلا أن حركةً ما استطاع «أحمد» أن يلمحها، جعلته لا يتحرك من مكانه ولا يفكر في الاشتباك، بل لقد أخرج جهاز الإرسال، ثم ضغط على زر فيه، فأصبح جهازًا للاستقبال فجأةً. ظهرت الدهشة على وجهه، ونظر إلى «مصباح» الذي نظر إليه متسائلًا. لكن «أحمد» لم ينطق ... لقد كان يتابع سماع رسالة ما ...

هل تثق في كلمة الليل؟

التقط «أحمد» رسالةً تقول: «خذوا حذركم؛ هناك عصابة أخرى في نفس المكان. إذا كنتم لا تستطيعون مقاومتها، فحاولوا الاتفاق معها.» انتهت الرسالة، وانتظر «أحمد» قليلًا لعله يسمع شيئًا آخر ... فقد يرد «داش»، لكن «داش» لم يرد. وفكر بسرعة؛ هل الأحسن أن يعقد اتفاقا مع العصابة، أو أن يشتبك معها؟

كان بقية الشياطين قد انضموا، وعقدوا اجتماعًا سريعًا، شرح فيه «أحمد» كل شيء ... ثم انتظر ليسمع آراء بقية الشياطين. قال «رشيد»: أعتقد أننا يمكن أن نعقد اتفاقًا، وفي هذه الحالة تضمن كل الظروف حولنا.

إلهام: إنني أوافق هذا الرأي.

مصباح: إننا إذا اشتبكنا، فإننا نعطي فرصةً للقطار؛ حتى يمر بسلام.

باسم: أعتقد أن هذا الرأي أصلح.

أحمد: المسألة فيها مخاطرة ... المؤكد أن «داش» ومجموعته عندهم معلومات عن وقوع مجموعة النسف، وأن خطة النسف لن تنفذ، ثم إن «جاك» سوف ينضم إليهم، و«جاك» يعرفنا.

باسم: لا أظن أنه يعرفنا؛ لقد كان الظلام شديدًا، ولا يعطيه فرصةً للتعرف علينا.

أحمد: إن أصواتنا قد تكشفنا؛ لقد تحدثنا معه.

صمت الشياطين. كانت مجموعة «داش» لا تزال مشغولةً في إفاقة «هوب». قال «أحمد»: ينبغي أن نقترب من الكوبري؛ حتى نكون مستعدين.

رشيد: أعتقد أن عددهم قد أصبح أكثر من ثمانية، فإذا كانت لديهم معلومات عن فشل خطة النسف، فهذا يعني أنهم سيركزون عمليتهم على القطار وهو منطلق.

أحمد: هذا صحيح.

تقدم الشياطين بسرعة في اتجاه الكوبري، غير أن «أحمد» توقف فجأةً، وقال: يجب أن نرصد حركتهم.

تخلف «مصباح» و«باسم» في الطريق؛ ليتمكنا من رصد حركة مجموعة «داش»، بينما انطلقت مجموعة «أحمد» في اتجاه الكوبري. نظر «أحمد» في ساعته، وقال: إن الوقت يقترب. كان هدوء الليل يسمح لأي صوت أن يظهر، لكنه لم يكن ثمة صوت؛ اللهم إلا صوت عصفور يعلو بين فترة وأخرى، ثم يختفي. اقتربوا من الكشك، لكن فجأةً ... ارتفع عواء الذئاب، فتوقف الشياطين ... وتركزت أنظارهم عند الكشك. ظهر ذئب ضخم، وأخذ يتشمم المكان، ثم عوى عواء غريبًا، ثم فجأةً ظهرت أعداد متزايدة من الذئاب ...

قالت «إلهام»: يبدو أن الذئاب قد عادت بمجموعة أخرى! قال «أحمد»: إذن؛ ينبغي أن نكون تحت الريح، لا فوقه ... حتى لا تشم الذئاب رائحتنا.

تقدم الشياطين مبتعدين عن الكشك ... كان تقدمهم بطيئًا هادئًا، لكنهم، في نفس الوقت، كانوا يرقبون حركة الذئاب، وظلوا يتقدمون حتى اقتربوا من الكوبري تمامًا.

سأل «رشيد»: الغريب أنه لا توجد حراسة على الطريق!

رد «أحمد»: قد يكون ذلك؛ حتى لا يلفتوا النظر.

توقف الشياطين عند مجموعة عالية من أعشاب السافانا، فأصبحت تخفيهم تمامًا ... كان الهدوء يخيم على كل شيء، والقمر قد ارتفع أكثر، فأضاء الأشياء بإضاءة خافتة ... لكنها كانت كافيةً للرؤية ... مر الوقت بطيئًا، وشعر «أحمد» بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالةً، فأخرج الجهاز، وبدأ في تلقيها ... كانت الرسالة من الشياطين: «تحرك القرش في اتجاه الممر؛ نحن خلفه.»

نظر «أحمد» إلى الشياطين، ثم قال: ينبغي أن نغير مكاننا ... يجب أن نكون في الجانب الآخر من الكوبري.

تحرك الشياطين، وفجأةً ارتفع عواء الذئاب؛ فقد كانت الريح تنقل لهم أصواتها، فقال «رشيد»: لا بد أن «داش» ومجموعته قد اتجهوا إلى هناك. ولم يكد «رشيد» ينهي جملته، حتى ارتفع صوت الأعيرة النارية، وارتفع معها صوت الذئاب ... كان واضحًا أن هناك معركةً ما. فقالت «إلهام»: يمكن أن تكون الذئاب في صفنا!

أوشك «أحمد» أن يرد، لكنه توقف، فقد كانت هناك أصوات تقترب ... استمع الشياطين إليها، بينما ظلت تقترب أكثر فأكثر. وبرغم أن أصوات الذئاب والرصاص كان يصل إلى الشياطين، إلا أن الأصوات المجهولة كانت مسموعةً أيضًا ... ولفت سمع «رشيد» اسم

«جاك»، فهمس لـ «أحمد»: واحد منهم يدعى «جاك» ... فقال «أحمد»: إذن؛ لقد عادت المجموعة الهاربة.

اقتربت الأصوات أكثر، وقال واحد منها: يبدو أن «داش» قد اشتبك معهم. قال آخر: إنها معركة بالرصاص.

لم يتحرك أحد من الشياطين، بالرغم من أنهم كانوا يسمعون صوت الأقدام بجوارهم تمامًا. وجاءت رسالة إلى «أحمد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»: هناك معركة رائعة بين الذئاب والقرش ... إننا نراها بوضوح؛ إن الذئاب تعمل معنا.»

ابتسم «أحمد»، ورد: «استمتعوا بالمعركة، ولا تدخلوها.»

تباعدت أصوات مجموعة «جاك» ... حتى اختفت، غير أن أقدامًا أخرى كانت تأتي مسرعةً، فتحفز الشياطين ... كانت أصوات الأقدام تتجه إليهم مباشرةً، فهمس «أحمد»: لنتجه إلى اليمين.

وعلى الفور زحف الشياطين إلى اليمين، فمرت الأقدام بجوارهم، لكنهم ظلوا صامتين تمامًا؛ فقد توقفت الأقدام وأصبح مسموعًا لهم صوت الذين يتكلمون، وقال «داش»: إننا لا نعرف شيئًا حتى الآن ... لقد اختفى أفراد العصابة!

مرت فترة صمت، قال بعدها «داش» بصوته الخشن: لا أدري! لقد اختفى «جاك» أيضًا؛ أخشى أن يكون قد وقع في أيديهم ... وعاد الصمت مرةً أخرى، فأخرج «أحمد» جهاز الإرسال، وأرسل رسالةً إلى الشياطين: «أين أنتم الآن؛ بعد أن انسحب القرش؟» وجاءه الرد: «نحن عن النقطة «د»؛ لقد تحرك القرش في اتجاهكم ... كما ظهرت مجموعة أخرى من السمك.» فعاد وأرسل رسالةً: «لا تتعاملوا معها ... نحن ننتظر فرصةً أخرى.»

صمت كل شيء ... أصبحت لحظات الترقب قاسيةً، فمَن الذي سوف يبدأ الاشتباك؟ فجأةً دوى طلق ناري، لمع فجأةً واختفى ... همس «أحمد»: إن الطلقة عند النقطة «د»؛ لا بد أن شيئًا قد حدث.

أرسل رسالةً سريعةً إلى الشياطين: «ماذا حدث؟» ... لم يصله الرد سريعًا، فقد بدأت الطلقات المتبادلة، وسمعوا صوت «داش» الخشن، يقول: هناك اشتباك مع العصابة المجهولة؛ لا بد أنها مجموعة «جاك».

تحركت الأقدام بجوارهم، في اتجاه طلقات الرصاص.

قال «أحمد»: «إلهام» تنتظر هنا، سوف أتقدم أنا و«رشيد» في اتجاههم.

ثم تحرك الاثنان بسرعة.

كانت الطلقات قد ازدادت من جانب واحد، فأدرك «أحمد» أن مجموعة «داش» قد انضمت إلى مجموعة «جاك» ضد «باسم» و«مصباح»، فأرسل رسالةً سريعةً: «ما هو الموقف؟» جاءه الرد: «نحن مشتبكان.»

استمر الشياطين في تقدمهما في اتجاه «باسم» و«مصباح» عند النقطة «د»، وفجأةً ارتفع صوت «داش» يقول: أيها الزملاء، كفوا عن إطلاق الرصاص؛ يجب أن نتفاهم.

أخيرًا وصل «أحمد» و«رشيد» عند «باسم» و«مصباح»، فقال «أحمد»: يجب أن نغطيهم بكمية نيران مضاعفة؛ حتى نخدعهم. وأشار إشارةً بيده، فانطلقت بعدها النيران كالمطر؛ لقد كانوا يستخدمون ثمانى مسدسات، وظلوا يطلقون النيران فترةً، فلم ترد العصابة ... فأشار «أحمد»، فتوقف الرصاص.

وعندما أصبح الهدوء يغطي كل شيء ... مرةً أخرى، ارتفع صوت «داش»: ماذا قلتم أيها الزملاء؟ إنها فرصتنا جميعًا، ويجب أن نستغلها ... إن الوقت يمر، وقد يضيع كل شيء.

لم يرد أحد من الشياطين، ومرت فترة صمت؛ كان «أحمد» يريد أن يعرف منهم أكثر ...

ارتفع صوت «داش» يقول: ينبغي أن نتفق ... ماذا قلتم؟ لم يرد أحد ... بعد دقيقة قال «أحمد»: لنا شروط. رد «داش»: هذا حسن ... إننا يمكن أن نبدأ الحوار. ما هي شروطكم؟

أحمد: ألقوا مسدساتكم.

داش: كيف نلقيها، ومعكم مسدساتكم؟

أحمد: نلقي المسدسات جميعًا.

داش: نلقيها مؤقتًا ... فسوف نحتاجها فيما بعد.

أحمد: موافقون؛ هيا ألقوها.

داش: ها هي.

سمع «أحمد» مسدسًا يرتطم بالأرض، ثم تلاه ثانٍ، وثالث، حتى أصبحوا ستةً ... وارتفع صوت «داش» يقول: هيا ... نفذوا الاتفاق.

أحمد: لا تزال هناك مسدسات لم تلقَ بعد.

داش: لم يعُد في أيدينا شيء ... إننا ستة أشخاص فقط.

أحمد: إذن؛ هناك ستة مسدسات أخرى.

صمت «داش» قليلًا، ثم قال: لا يوجد لدينا شيء.

أحمد: إذن؛ فأنتم لم تنفذوا الاتفاق كاملًا.

داش: هذه كلمة شرف ... لقد ألقينا كل المسدسات.

أحمد: كيف نلتقي؟

داش: كل منا يمشي خطوةً. لكن بعد أن تلقوا المسدسات.

مرت فترة صمت ... همس بعدها «أحمد»: ألقوا أربعة مسدسات فقط.

ألقى كل من الشياطين مسدسًا واحدًا، ثم قال «أحمد»: ما رأيكم؟ لقد ألقينا المسدسات.

جاء صوت «داش»: هل أنتم أربعة أفراد فقط؟

رد «أحمد»: نعم!

داش: لا أظن ... أنتم ثمانية على الأقل.

ابتسم «أحمد»، وقال: نحن أربعة فقط ... لكننا نملك كمية نيران أكبر.

عاد الصمت من جديد، ثم قال «داش»: تقدموا إذن! خطوة، بخطوة.

تقدم «أحمد» خطوةً ... ثم سمع صوت خطوة في الطرف الآخر. همس لـ «مصباح»: التف أنت و«باسم» حولهم، ودعني أقوم أنا بالمهمة.

زحف «باسم» و«مصباح» في هدوء. تقدم «رشيد» خطوةً، فتقدم واحد من هناك خطوةً، ثم توقفت الخطوات، ولم يتقدم أحد؛ فقد كانت كل مجموعة تأخذ حذرها من المجموعة الأخرى.

ارتفع صوت «داش» يقول: يبدو أنكم لا تثقون في اتفاقنا!

لم يرد «أحمد»؛ ظل صامتًا قليلًا ... ثم قال: إننا ننفذ الاتفاق، وأنا لم أسمع خطوةً جديدةً من ناحيتكم.

فقال «داش»: إننا قد خطونا ... دعني أسالك: هل تثق في كلمة الليل؟

لم يفهم «أحمد» ماذا يقصد «داش» ... غير أنه قال: إنني أثق في كلمة الرجال!

لم يكد يتم جملته، حتى تناهى إلى أذنيه صوت جعله يفكر بطريقة أخرى. وعندما رفع ساعة يده، وألقى نظرةً سريعةً عليها ... عرف أن الوقت لا يسمح بشيء؛ لقد كان صوت عجلات القطار يقترب ...

عندما امتلأت الشبكة بالأسماك

ارتفع صوت «داش» يقول: لم يعد هناك مجال للاختيار؛ لقد انتهى الوقت.

سمع «أحمد» أصوات أقدامهم تسرع بالابتعاد ... فأرسل رسالةً إلى الشياطين: «أين أنتم؟» جاءه الرد بسرعة: «إننا نأخذ طريقنا إلى نقطة التمركز.» أرسل رسالةً أخرى إلى «إلهام»: «نحن في الطريق إليك.» ثم تحرك هو و«رشيد» بسرعة في اتجاه «إلهام»، ثم فجأةً ... ظهر من بعيد جسم مُعتِم يتحرك ... كان يبدو وكأنه سيارة ضخمة ... همس «أحمد»: ترى هل هناك مجموعة أخرى؟ لا بد أن هذه السيارة سوف تنقل الذهب ... من الضروري أن يشتبك معها أحد.

قال «رشيد» وهو ينظر في اتجاه السيارة: هناك واحدة أخرى خلفها؟ ...

أحمد: لقد اتضحت الخطة؛ أليس كذلك؟! ...

فكر «رشيد» بسرعة، ثم قال: هذه حقيقة؛ لا بد أن يشتبك أحد مع السيارة الأولى ...

أرسل «أحمد» رسالةً سريعةً إلى «باسم» و«مصباح»: «يمكنكما أن تتعاملا مع السيارة الأولى القادمة ...»

في نفس الوقت، اتجه «أحمد» و«رشيد» إلى «إلهام»، وكانت في مكانها، وقالت عندما رأتهما: هل تريان؟ ...

أحمد: نعم ... سوف نشتبك نحن مع مجموعة «داش»، وأما «باسم» و«مصباح» فمع السيارة الأولى ...

اقتربوا من شريط السكة الحديد فوق الكوبري، وضع «أحمد» أذنه على الشريط، يستمع لصوت عجلات القطار ... همس بعد قليل: إن القطار قد أبطأ سرعته ...

رشيد: هل تظن أن شيئًا قد حدث؟ ...

لم يرد «أحمد» بسرعة ... كان يفكر في الاحتمالات ... فما معنى أن يبطئ القطار سرعته ... وهو لا يزال بعيدًا عن الكوبري؟! فجأةً ظهرت مجموعة من الرجال لم يستطع أحد من الشياطين أن يعرفها ... فزحفوا هم بسرعة في اتجاه حشائش السافانا، التي لم تكن طويلةً في هذا المكان ... اختبئوا خلفها، وأخذوا يرقبون تقدم الرجال ... ارتفع الصوت الخشن يتحدث، فعرف «أحمد» أنهم مجموعة «داش» ... قال الصوت الخشن: لقد اختفوا تمامًا ... غير أنه من الضروري أن يكونوا في مكان قريب منا الآن. لم يرد أحد عليه، وكانوا يتقدمون في اتجاه الشياطين، وكان من الضروري أن يتم الاشتباك الآن ... غير أن «أحمد» فكر بسرعة: إن الموقف غير متكافئ، ثم إن هناك رتلًا من السيارات ... نظر «أحمد» إلى «رشيد»، ثم همس: من الضروري أن نتخلص منهم هنا ... وقبل أن يقترب القطار.

اقتربت مجموعة «داش» أكثر، وكانت المجموعة تسير في طابور يتقدمه صاحب الصوت الخشن الذي قال: لو أنهم ظهروا، لاستطعنا أن نتفاهم ... وصمت قليلًا، ثم أكمل: أو نصفي حسابنا!

مرت المجموعة بجوار الشياطين، فانتظروا حتى مرَّ خمسة رجال، ثم قفز «أحمد» فجأةً فوق الأخير منهم، وكمم فمه ... ثم عاجله بخنجر، فسقط الرجل دون صوت ...

زحف «رشيد» ... حتى اقترب من الأخير في الطابور ... ثم فعل نفس الشيء؛ إلا أن «داش» كان قد التفت في نفس اللحظة، فشاهد ما حدث ... أطلق طلقةً سريعةً، إلا أنها أصابت زميله ... واستلقى الآخرون على الأرض ... في نفس اللحظة التي كان فيها «أحمد» و«إلهام» و«رشيد» قد انبطحوا ... ثم زحفوا مبتعدين في نصف دائرة حول المجموعة ...

أطلق أحد أفراد العصابة مجموعة طلقات في النقطة التي غادرها الشياطين. وانتظر قليلًا، ثم أطلق مجموعة طلقات أخرى ... ساد الصمت المكان ... فقال «داش»: إنهم كالشياطين! ...

كان الشياطين قد أصبحوا خلفهم، فزحفوا في اتجاههم، وكانت ظهور المجموعة إلى ناحية الشياطين، فنظر «أحمد» إلى «رشيد»، و«إلهام»، ثم تفاهم بلغة الإشارة ... رفع يده ... ثم أشار، فطار الثلاثة في الهواء ... كان «أحمد» قد قفز بين اثنين من رجال العصابة ... وضرب بقدميه المسدسين من أيديهما ... في نفس اللحظة، كان «باسم» قد ضرب مسدس الثالث ... وضربت «إلهام» مسدس الرابع ... وقبل أن يفيقوا من الحركة المفاجئة، كان الشياطين قد طاروا مرةً أخرى في الهواء ... وبدأت لعبة «الكاراتيه» ... ضرب «أحمد» اثنين ... فانحنيا من أثر الضربة، وقبل أن يعتدلا كان قد أمسك برأسيهما ثم جذبهما بقوة ... فاندفع كل منهما في اتجاه الآخر ... في نفس اللحظة كانت «إلهام» قد أمسكت بذراع

أحدهما، ودارت به دورةً كاملةً ... ثم ضربته في قصبة رجله أثناء دورانه، فترنح، ثم سقط على الأرض ... بينما كان «رشيد» قد ضرب الرابع ضربةً خطافية أسفل ذقنه ... جعلته يتراجع بسرعة، فتلقاه «أحمد» بين ذراعيه، ثم ضربه ضربةً جعلته يئن من الألم.

أصبح الأربعة مطروحين على الأرض، فأخرج «أحمد» مسدسه، ثم أطلق على كل منهم طلقةً مخدرةً، فسكتوا تمامًا. قال «أحمد»: علينا أن نلحق بالسيارة، ثم أرسل رسالةً سريعةً إلى «باسم» و«مصباح»: «نحن في الطريق؛ لماذا لم تشتبكوا حتى الآن؟» جاءه الرد: «لقد توقفت السيارة؛ نحن في انتظار حركتها.»

أسرع الشياطين في اتجاه السيارة. كان صوت القطار قد بدأ يقترب، وأخذ يعلو. رأى «أحمد» حركة السيارة الأولى؛ كانت تقترب في هدوء. أرسل رسالةً سريعةً إلى «باسم» و«مصباح»: «لا تشتبكوا مع السيارة؛ دعوها تتقدم إلينا. اللقاء عند النقطة «ي».»

أسرع الشياطين في اتجاه السيارة، وكانت النقطة «ي» عند تل رملي. وصل الشياطين إلى التل، فوجدوا «باسم» و«مصباح» هناك ... اختفوا خلف التل، وظلوا يرقبون تقدم السيارة. كانت سيارةً ضخمةً تمامًا، وكانت حركتها بطيئةً، وكأنها كانت قد جُهِّزت لتصل قبل القطار بلحظات. ظلت السيارة تتقدم بنفس حركتها البطيئة، وكان الشياطين قد جهزوا أنفسهم للاشتباك معها.

مرت دقائق، ثم أصبحت السيارة في مواجهتهم تمامًا. قال «أحمد» هامسًا: طلقة واحدة فقط. فأخرج «رشيد» مسدسه، ثم أطلق طلقةً في الإطار الأمامي للسيارة، فارتفع دوي الفرقعة ... وتوقفت السيارة ...

مرت لحظات صامتة، ثم بدأ بعض الرجال يظهرون حولها. فجأةً ظهرت السيارة الثانية، وتقدمتها، غير أن «باسم» كان أسرع حركةً منها ... فقد أطلق رصاصةً استقرت في إطارها الأمامي ... فتوقفت هي الأخرى. تردد صفيرًا طويلًا ثم متقطعًا، ثم صمت كل شيء.

قال «باسم»: أستطيع أن أتحدث معهم. رد «أحمد»: لا بأس. فأطلق «باسم» صفيرًا متقطعًا، ثم طويلًا، وصمت. وجاءه الرد ... وظلت الرسائل تتردد بين الجانبين ...

قال «باسم»: أستطيع أن أتحدث معهم. رد من يعمل ضدهم. قال «أحمد»: أخبرهم أن يصلحوا الإطارات بسرعة؛ فليس هناك وقت، والقطار يقترب. أطلق «باسم» صفيرًا يحمل نفس المعنى الذي ذكره «أحمد»، فجاءه الرد أنهم يفعلون ذلك فعلًا. قال «أحمد» لـ «باسم»: اطلب منهم أن تتقدم مجموعة من الرجال، حتى يمكن أن يصلوا إلى القطار، حتى لو ظلت السيارة معطلةً.

أرسل «باسم» الرسالة، ولم تمر لحظات، حتى كان أربعة من الرجال يتقدمون. قالت «إلهام»: فرصة طيبة.

تقدم الرجال بسرعة، حتى أصبحوا بجوار التل الرملي فجأةً؛ كان الشياطين يطيرون في الهواء، ويسقطون فوقهم ... مع استعمال الخناجر، وتعالت الصيحات، فقال «أحمد» بسرعة: راقبوا السيارة. كانت السيارة الصغيرة تتحرك في المقدمة ... ثم تحركت خلفها السيارة الضخمة. أخرج «أحمد» مسدسه، ثم أطلق رصاصةً استقرت في الإطار الخلفي للسيارة الضخمة ... بينما كانت السيارة الصغيرة تتقدم في اتجاههم. قال «أحمد»: يجب أن نأسرها.

عندما اقتربت السيارة من التل الرملي، قفز الشياطين عليها. كانت سيارة مرسيدس متوسطةً، تحمل ثلاثةً منهم. كان الشياطين فوق السيارة التي انطلقت بسرعة خارقة، ثم توقفت فجأةً، وكان الشياطين يحسبون حسابهم لنفس الحركة، فقفزوا في الهواء في نفس لحظة الفرملة، فلم يتأثروا بها. في نفس الوقت كان الرجال قد قفزوا من السيارة.

طار «أحمد» في الهواء، ثم بضربة مزدوجة ضرب اثنين منهم بقدميه، فطارا في الهواء. في نفس الوقت الذي عاجل فيه «باسم» الرجل الثالث بلكمة دائرية، جعلته يدور حول نفسه، ثم يسقط على الأرض، ودار «رشيد» حول نفسه، ثم ضرب واحدًا من الاثنين اللذين ضربهما «أحمد» ضربةً مزدوجةً جعلته يترنح.

لم تمر عشر دقائق، حتى كان الرجال الثلاثة قد انطرحوا على الأرض، بلا حراك. وفي لمح البصر، كان الشياطين قد أوثقوهم بالحبال، ثم حملوهم إلى حقيبة السيارة. قال «أحمد»: «باسم» و«إلهام» ينطلقون إلى أقرب نقطة شرطة، ونحن سوف نتعامل مع الباقين.

قفز «باسم» و«إلهام» في السيارة، وانطلقا إلى مدينة «بورك»، بينما كان صوت القطار قد اقترب تمامًا، في نفس اللحظة التي بدأت فيها طلقات الرصاص من رجال السيارة الضخمة، في اتجاه الشياطين.

ظل تراشق النيران بين الجانبين بعض الوقت ... ثم همس «أحمد»: «رشيد»، اتجه إلى السيارة، و«مصباح» إلى اليمين ... واتركاني في المنتصف ... يجب أن نغطيهم بكمية عالية من النيران، حتى يمر القطار ...

زحف «رشيد» في الاتجاه الذي حدده «أحمد»، وزحف «مصباح» إلى الاتجاه الآخر ... ثم فتح الثلاثة نيرانهم على السيارة ... وظل «أحمد» يرقب كمية النيران التي ازدادت ... كان واضحًا أن هناك مجموعةً كبيرةً من الرجال داخل السيارة.

توقف «أحمد» عن إطلاق الرصاص ... وأرسل رسالةً واحدةً إلى «مصباح» و«رشيد»: «استمروا في إطلاق النيران بكمية أعلى؛ سوف أنهي الموقف.»

ارتفعت كمية النيران أكثر ... وزحف «أحمد» حتى استطاع أن يحدد مكان خزان البنزين. اقترب صوت القطار، ثم بدأ يظهر بكتلته السوداء، متقدمًا على شريط السكة الحديد. كان يتقدم ببطء، حتى يعبر الكوبري، وعندما بدأ صوت العجلات يرتفع أكثر، عرف «أحمد» أنه يعبر الكوبري الآن، وأن صوت العجلات يتردد في فضاء الكوبري، وهذا ما يجعل الصوت عاليًا.

أحكم «أحمد» النيران، ثم أطلق طلقةً أصابت خزان البنزين. ولم تمر لحظة، حتى ارتفعت النيران، بعد دوي هائل فجر السيارة. كان القطار قد قطع الكوبري تمامًا ... ثم بدأت سرعته تزداد ... ثم بدأت تتلاشى في ظلام الليل.

توقف الشياطين عن إطلاق الرصاص، فقد شاهدوا تحت ضوء النيران، مجموعةً من الرجال تفر إلى داخل الصحراء، في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه أصوات سيارات الشرطة. اجتمع الشياطين الثلاثة يرقبون سيارات الشرطة المتقدمة، والتي كان يتقدمها جميعًا سيارة «باسم» و«إلهام».

نزل ضباط الشرطة، ودار حوار سريع، ثم بدأت مطاردة رجال العصابة في جوف الصحراء ... بينما أخذ الشياطين طريقهم للعودة.

وعندما اقتربت سيارتهم من مدينة «بورك»، كانت أضواء الفجر تزحف على الوجود ... ليبدو كل شيء نقيًّا هادئًا. والتقت نظرات الشياطين، ثم ارتفعت أصابعهم ترسم علامة النصر، بينما كان «أحمد» يرسل رسالةً إلى رقم «صفر» يقول فيها: «امتلأت الشبكة بالأسماك ...»

وجاءه الرد: «إفطارًا شهيًا؛ أهنئكم.»

عندما وصلوا إلى الفندق، ألقى كل منهم نفسه في سريره ... فقد كانوا يشعرون بالرغبة الشديدة في النوم.

هنـــداوي